

# الوصول إلى أصغر الأطفال: نهج لتكامل النظام الصحي

إن حجر الأساس للصحة والرفاه مدى الحياة يوضع خلال السنوات الأولى، من فترة الحمل حتى عيد الميلاد الثالث للطفل. يؤكد العلم الناشئ على الفوائد المتغيرة للحياة في تقديم الرعاية الجيدة، والتحفيز، وفرص التعلم طوال هذه الفترة: من المرجح أن ينمو الأطفال ليكونوا أكثر صحة وأفضل تعليماً، مع تحسين النتائج الاجتماعية والاقتصادية. ومع ذلك، لا تزال الاستثمارات في تنمية الطفولة المبكرة تركز في معظم المحيطات ذات الموارد المنخفضة في المقام الأول على الأطفال في سن رياض الأطفال وتفوت الفرصة الحاسمة خلال السنوات الأولى، حيث يمكن التخفيف من تأخر النمو - أو تجنبه بشكل كامل.

كاتيلين جراي،  
مساعد أكبر  
للسياسات والدفاع،  
برنامج التكنولوجيا  
الملائمة في مجال  
الصحة، واشنطن  
العاصمة، الولايات  
المتحدة الأمريكية

منذ عام 2012، عمل برنامج التكنولوجيا الملائمة في مجال الصحة على سد هذه الفجوة من خلال دعم نهج يستخدم الأنظمة الصحية لزيادة خدمات تنمية الطفولة المبكرة للأطفال الأصغر سناً<sup>1</sup>. بدأ هذا العمل في عزلة نسبية، حيث غالباً ما كان برنامج التكنولوجيا الملائمة في مجال الصحة صوتاً وحيداً على المستوى الوطني، مدفوعاً عن تغييرات لم يكن صانعو السياسة وغيرهم من المؤثرين مستعدين للعمل بها بشكل حاسم. لكن الأحداث التي حدثت خلال العام المنصرم غيرت هذا المشهد بشكل جذري وأثارت تحولاً عالمياً ووطنياً جمعياً لضمان أن الأطفال لا ينجون فحسب بل يزدهرون.

ماثيو فراي،  
المدير المساعد لبرنامج  
صحة وتغذية الأم  
والطفل، البرنامج  
العالمي المتكامل  
لرعاية الطفولة  
المبكرة/تنمية الرعاية،  
برنامج التكنولوجيا  
الملائمة في مجال  
الصحة، واشنطن  
العاصمة، الولايات  
المتحدة الأمريكية،

## الابتكار للوصول إلى الأطفال الأصغر سناً

نظراً للعمل طويل الأمد الذي قام به برنامج التكنولوجيا الملائمة في مجال الصحة لتحسين صحة الطفل وتغذيته، أدركنا فرصة لعنونة تنمية الطفولة المبكرة على نطاق أوسع في سياق النظام الصحي. في عام 2012، أكدت الصورة الأولية لبرامج وسياسات تنمية الطفولة المبكرة في كينيا والموزامبيق وجنوب إفريقيا ما يشته به برنامج التكنولوجيا الملائمة في مجال الصحة - بأنه خارج القطاع الصحي، هناك عدد قليل من الخدمات التي تم تصميمها للأطفال دون سن 3 سنوات. في العام التالي، بدأنا في تكييف نماذج تطوير الطفولة المبكرة للنظام الصحي وتجريب إطار منظمة الصحة العالمية واليونيسيف (إطار رعاية تنمية الطفل) لتدريب مقدمي الخدمات في كينيا والموزامبيق.

ديبيجيت سن،  
أخصائي تنمية  
طفولة مبكرة إقليمي  
وأخصائي تغذية،  
برنامج التكنولوجيا  
الملائمة في مجال  
الصحة، جوهانسبرغ،  
جنوب أفريقيا

على الرغم من تقدم برنامج التكنولوجيا الملائمة في مجال الصحة في إثبات جدوى هذا النهج الجديد وزيادة حجم البرنامج تدريجياً، إلا أن هذه التدخلات للأطفال الصغار لم

1 بيان من منظمة PATH:  
 الابتكار في مجال الصحة العالمية. منظمة دولية غير ربحية، PATH تنفذ الأبحاث وتحسن الصحة، وخاصة بين النساء والأطفال. تسرع PATH عملية الابتكار عبر خمس منصات - الطعام، والأدوية، والتشخيصات، والأجهزة، والبتكرات النظام والخدمات - التي تسخر رؤيتنا الريادية، وخبراتنا العلمية والصحية العامة، والشغف بتحقيق المساواة في مجال الصحة. من خلال حشد الشركاء حول العالم، تأخذ PATH الابتكار على نطاق واسع، حيث تعمل جنباً إلى جنب مع الدول في إفريقيا وآسيا في المقام الأول لتلبية احتياجاتهم الصحية الكبرى. مع هؤلاء الشركاء الرئيسيين، تقدم PATH نتائج قابلة للقياس والتي بدورها تعطل دورة الصحة السيئة. لمزيد من المعلومات، يرجى زيارة: [www.path.org](http://www.path.org)

يتم النظر إليها على نطاق واسع باعتبارها مشكلة بالنسبة لقطاع الصحة، والتوسع الكبير المدعوم من قبل السياسات الحكومية الواضحة وإلتزامها كان اقتراحاً على المدى البعيد. ومع ذلك، في عام 2016، أكدت سلسلة لانسيت الخاصة بتنمية الطفولة المبكرة أن النظام الصحي هو نقطة الدخول الرئيسية للوصول إلى الأطفال الصغار والقائمين على رعايتهم. كما أدخلت مفهوم "تنمية الرعاية" - الذي يشمل الصحة والتغذية والرعاية سريعة الاستجابة والتعليم المبكر والأمن والسلامة - كمجموعة حرجة من التدخلات المتصلة ببعضها البعض واللازمة لتحقيق نتائج إنمائية مثالية. سلطت السلسلة الضوء على الحاجة الملحة لإدماج هذه التدخلات في الخدمات الصحية الروتينية. كما ساهمت في تسريع عمل برنامج التكنولوجيا الملائمة في مجال الصحة، مما حفزت الشراكات مع منظمة الصحة العالمية واليونيسف والعديد من الحكومات الوطنية التي أصبحت مهتمة بشكل متزايد بهذا الجهد.

## نموذج التكيف

بناء على الأدلة والخبرة واحتياجات الدولة، يستخدم برنامج التكنولوجيا الملائمة في مجال الصحة النظام الصحي كمدخل لدعم العائلات لتمكين أطفالها من الازدهار، من خلال نهج ثلاثي المحاور:

- دمج خدمات الطفولة المبكرة في جميع عناصر النظام الصحي، من تدريب مقدمي الخدمات، إلى توفير الدعم والإشراف، لضمان قيام نظم المعلومات بالنقاط البيانات ذات الصلة
- توسيع قاعدة الأدلة لتوحيد قطاع الصحة لبرمجة تطوير الطفولة المبكرة في الأوضاع منخفضة الموارد ونشر الدروس المستفادة
- تعزيز البيئة التمكينية عن طريق تضمين محتوى تنمية الطفولة المبكرة في السياسات والمبادئ التوجيهية والمناهج التدريبية وخطط العمل والميزانيات الحكومية.

ما بين عامي 2011 و 2017 قام برنامج التكنولوجيا الملائمة في مجال الصحة بتطبيق برنامج كبير لتقوية الأنظمة الصحية في جنوب أفريقيا، حيث كانت التنمية في مرحلة الطفولة المبكرة عنصراً حاسماً في الحد الأدنى من مجموعة الخدمات المقدمة من خلال الخدمات المجتمعية. يدعم برنامج التكنولوجيا الملائمة في مجال الصحة حالياً الجهود الحكومية الرامية إلى توسيع نطاق خدمات تنمية الطفولة المبكرة القائمة على النظم الصحية في ساحل العاج (كوت ديفوار) وكينيا والموزامبيق وزامبيا. ومن الجدير بالذكر أن برنامج التكنولوجيا الملائمة في مجال الصحة ساهم في دمج الرعاية في 11 نظاماً صحياً في كينيا والموزامبيق. يعمل كلا البلدين على تكثيف الدمج، ليصل في نهاية المطاف إلى ما لا يقل عن 2 مليون نسمة بحلول عام 2020. وفي تنفيذ هذا النهج الخاص بالنظم الصحية، يعمل برنامج التكنولوجيا الملائمة في مجال الصحة بشكل وثيق مع صناعات السياسات والموظفين الفنيين والمجتمع المدني لمواءمة التدخلات مع الهياكل والموارد الموجودة، وضمان أن تكون الحكومة في مقعد السائق.

## إنشاء أنظمة قوية لتقديم التنمية و الرعاية

غالباً ما يكون العاملون في مجال الرعاية الصحية هم مقدمو الخدمات الأوليون والوحيدون الذين يتفاعلون بانتظام مع الأطفال الأقل من 3 سنوات والقائمين على رعايتهم. يهدف منهج برنامج التكنولوجيا الملائمة في مجال الصحة إلى تزويد هؤلاء

"منذ عام 2012،  
 كان برنامج  
 التكنولوجيا  
 الملائمة في مجال  
 الصحة يدافع  
 عن نهج يستخدم  
 الأنظمة الصحية  
 لزيادة خدمات  
 تنمية الطفولة  
 المبكرة للأطفال  
 الأصغر سناً"

الموظفين بالتدريب والأدوات والموارد اللازمة لدمج الرعاية في الخدمات الصحية المجتمعية والمرافق.

أولاً، يبني برنامج التكنولوجيا الملائمة في مجال الصحة كادر من المدربين والمشرفين الحكوميين من خلال دمج المعلومات حول تنمية الطفولة المبكرة في التدريب على حزم الرعاية المعيارية، مثل برنامج الإدارة المتكاملة للأمراض الطفولة في منظمة الصحة العالمية. بالإضافة إلى كونه فعالاً من حيث التكلفة، يعزز هذا النموذج ملكية الحكومة ويعزز إدراج تنمية الرعاية كعنصر أساسي في النظام الصحي.

يقوم هؤلاء الموظفون المدربون ببناء قدرة مقدمي الخدمات على دمج المحتوى حول تنمية الرعاية في تقديم الخدمات الروتينية - بما في ذلك الرعاية السابقة للولادة وما بعد الولادة، وتطعيمات الأطفال ورصد النمو، وخدمات طب الأطفال، والتدخلات المجتمعية. فعلى سبيل المثال، يتعلم موظفو المرافق الصحية تقديم المشورة بشأن أنشطة اللعب والتواصل الملائمة للعمر، وتقييم مراحل التطور، وإحالة الأطفال الذين يشتهب بتأخرهم في النمو إلى الأخصائيين. كما يصل مقدمو الخدمات المجتمعية إلى الأطفال ومقدمي الرعاية خلال الزيارات المنزلية ودورات اللعب المنظمة في مناطق الانتظار في المرافق الصحية.

"إن الإرادة  
السياسية والتزام  
الحكومة على  
جميع المستويات  
أمران ضروريان  
لوضع خدمات  
تنمية الطفولة  
المبكرة داخل  
النظام الصحي  
على نطاق واسع"

تدريب مقدمي الخدمات ليس سوى الخطوة الأولى. كما يدعم برنامج التكنولوجيا الملائمة في مجال الصحة التوجيه المنظم، حيث يراقب الموجهون مباشرة مهارات الإرشاد الخاصة بالموظفين المدربين ويوفرون التدريب في مجالات الضعف. في كينيا والموزامبيق، تعمل مع الحكومة على الدمج الرسمي للإشراف على تطوير الطفولة المبكرة في النظام الصحي من خلال تحديث معايير وأدوات الإشراف الداعمة.

### تعزيز الأدلة والتعلم من أجل تنمية الطفولة المبكرة في القطاع الصحي

لا تزال قاعدة الأدلة لتقديم خدمات تنمية الطفولة المبكرة من خلال القطاع الصحي محدودة، وقد لا تكون العديد من الدراسات الحالية قابلة للتطبيق لأنها تحدث في إطار بحث يخضع لرقابة صارمة. علاوة على ذلك، تركز القليل من البحوث التي تم إنجازها حتى الآن على أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. يعمل برنامج التكنولوجيا الملائمة في مجال الصحة لمعالجة هذه الفجوات. في الموزامبيق، أجرينا ثلاثة تقييمات على جدوى وقابلية دمج المحتوى على تنمية الرعاية في الزيارات المنزلية والخدمات القائمة على المرافق، وكذلك تنفيذ جلسات اللعب في مناطق انتظار المرافق الصحية. ووفقاً للنتائج، فإن التكامل ليس مجدياً فقط في الأوضاع منخفضة الموارد، بل إنه يحسن تصورات مقدمي الرعاية لجودة الخدمة. وقد ولد ذلك الإرادة السياسية لتوسيع نطاق هذه الخدمات المتكاملة على الصعيد الوطني. كما أنها خلقت اهتماماً دولياً.

بالتعاون مع شركاء محليين في كينيا، يقوم برنامج التكنولوجيا الملائمة في مجال الصحة بإجراء المزيد من الأبحاث لتقييم أثر تكامل القطاع الصحي على معرفة وسلوكيات وممارسات مقدمي الرعاية، فضلاً عن نمو الطفل والنتائج التنموية. كما ستقوم الدراسة بتقدير فاعلية التكامل من حيث التكلفة وتقديم التعليم من أجل التوسع المتوقع، بقيادة الحكومات الوطنية، إلى مناطق وبلدان جديدة.

### بناء بيئة سياسة تمكينية

الإرادة السياسية والتزام الحكومة على جميع المستويات أمر ضروري لوضع خدمات تنمية الطفولة المبكرة داخل النظام الصحي على نطاق واسع. من خلال الدعوة، يهدف برنامج التكنولوجيا الملائمة في مجال الصحة إلى دمج تنمية الرعاية في السياسات والمبادئ التوجيهية الوطنية ذات الصلة. ففي كينيا، على سبيل المثال، ركزت الاستراتيجيات والمبادئ التوجيهية السابقة لصحة الطفل في المقام الأول على بقاء الطفل. دعا برنامج التكنولوجيا الملائمة في مجال الصحة لتطوير سياسة صحة الأطفال حديثي الولادة والمراهقين كدليل شامل لجميع خدمات صحة الطفل، وتأكيد أن تشمل السياسة محتوى عن تنمية الرعاية للأطفال من الولادة إلى سن 3.



△ صورة: جوب روبنز/ مؤسسة كونراد إن. هيلتون

لترجمة تغيير السياسة إلى تقديم الخدمات، كان من الضروري تعديل المناهج الدراسية ومساعدة الوظائف. في الموزامبيق، أسفرت جهود الدعوة التي أطلقها برنامج التكنولوجيا الملائمة في مجال الصحة عن إدراج محتوى تنمية الطفولة المبكرة في مناهج التدريب السابقة على الخدمة للمرضين والعاملين الصحيين الاجتماعيين، والتي تخضع الآن للمراجعة. وهذا مهم بشكل خاص لتحقيق الاستدامة والوصول إلى نطاق واسع، لأن التدريب أثناء الخدمة يكون مكلفاً. كما سهّل برنامج التكنولوجيا الملائمة في مجال الصحة سلسلة من المشاورات في كينيا والموزامبيق من أجل تعزيز المحتوى المتعلق بالفحص والمشورة التنموية في مجموعات البرامج المعدلة الخاصة بالإدارة المتكاملة للأمراض الطفولة، التي توجه تقديم الخدمات الصحية.

أخيراً، يدافع برنامج التكنولوجيا الملائمة في مجال الصحة عن دمج خدمات الرعاية في نظم جمع البيانات الروتينية. على سبيل المثال، عملنا مع وزارة الصحة في الموزامبيق لمراجعة سجلات بيانات صحة الأم والطفل لتشمل المؤشرات ذات الصلة. لهذا أهمية ثنائية. أولاً، سيمكن الحكومة وأصحاب المصلحة الآخرين من تتبع - ولأول مرة - عدد الأطفال الذين يتلقون خدمات تنمية الطفولة المبكرة، فضلاً عن عدد الأطفال الذين يشكون من تأخر في النمو. ثانياً، يساعد جهاز وزارة الصحة المعتمد رسمياً مقدّمي الخدمات في رؤية تنمية الطفولة المبكرة كجزء من عملهم الروتيني، بدلاً من التدخل المروج من قبل الشركاء بالإضافة إلى جمع البيانات.

### الزخم العالمي والإلتزام الوطني

على المستويين العالمي والوطني، التحول في المنظور واضح: فالتنمية في مرحلة الطفولة المبكرة تعتبر على نحو متزايد محوراً هاماً لقطاع الصحة. تستعد العديد من الحكومات لقيادة إدخال أو توسيع نطاق دمج الرعاية في النظام الصحي، وهي على استعداد لتخصيص الموارد لأجندة «الازدهار». يقدم منهج برنامج التكنولوجيا الملائمة في مجال الصحة خريطة طريق للحكومات والشركاء المهتمين بهذا العمل.

نحن ندرك أن الأنظمة الصحية لا يتم إصلاحها بين عشية وضحاها. لكن الدلائل الناشئة والقيادة القطرية والمجتمع العالمي المتوائم تمكن من إحراز تقدم كبير في الوصول إلى الأطفال والقائمين على رعايتهم في سنواتهم الأولى.

## المراجع

*The Lancet.* (2016). *Advancing Early Childhood Development: From science to scale.* Available at: <http://www.thelancet.com/series/ECD2016> (accessed February 2018).